

نحن ندعو ضد الزواج من حيث لا نعرف

إننا نقع في غلطة كبيرة ونقوم بدعاية ضد الزواج من غير أن نعرف أو من غير أن ن قصد . ذلك أن كثيرا من مجالسنا ومجتمعاتنا قد تدور حول رواية أخبار الأزواج الخائنين في زواجهم والزوجات الخائبات في زواجهن . نكثر من رواية الطرف والفضائح عن الزواج ومتابعه بل نحن نكتبها في بعض الأحيان في الكتب والمجلات . ومن يروونها أو يكتبونها لا يقصدون بها غير التسلية واللهو . وكذلك من يسمعونها أو يقرأونها قد لا يجدون فيها شيئا آخر غير هذه التسلية وهذا اللهو . ولكنها مع ذلك تترك في نفوس قرائها أثرا ، توحى إليهم أن الزواج مرادف للحية والشقاء . يتسرب هذا الفهم ، أو هذا الوهم ، إلى أعماق العقل الباطن . وهو يتسرب على غير وعى منهم فيصرفهم من حيث يشعرون أو لا يشعرون عن السعي في الزواج أو التفكير فيه . ولا يعقل أن يكون كل زواج شقيا ، ولا يعقل أن يكون كل الأزواج والزوجات أشقياء . فالواقع أن هناك كثيرا من البيوت الصاعدة الهنية التي تشعر بنعمة الزواج والتي يجمعها هذا الرباط المقدس تحت سماء كلها ورحمة وتعاطف .

ولا يعقل أن يكون كل البنات غير صالحات للزواج . فإن في البيوت المصرية كثيرات من الفتيات النماهرات الشريفات النائقات إلى حياة الزواج ، المعارفات بما لها من حرمة وقداسة . ولكنك مع ذلك قلما تسمع من أحد غير تلك الفتاة الشائعة التي تؤكد لك أن الزمن " خلاص فسد " وأن البنات " خلاص بقوا على كيفهم " ويؤكد لك محدثك أنك عبثا تبحث عن ضالتك في زوجة طيبة مطيعة لا تكلفك من صرك عمرا .

ولا يعقل أن يكون كل الشبان يسبرون في الحياة على هواهم ، وينصرفون إلى ملاذهم وشهواتهم ، ومع ذلك فإنك تسمع هذا الحكم عليهم من أفواه بعض فتيات والأمهات والعائلات ، وأحيانا من أفواه الرجال أنفسهم .

ونحن في هذا التعميم في الحكم ، سواء بالنسبة للزواج ذاته ، أو للشبان ، أو للفتيات نسى من حيث نعرف ، أولا نعرف ، إلى حياة العائلة : العائلة التي تألفت فعلا ، والعائلة التي توشك أن تتألف ، ثم نحن بذلك نشر دعاية سيئة قد تصرف بعض الشبان عن الزواج أو قد توحى إليهم أن الزواج شر ، من الخير الابتعاد عنه .

وليس معنى هذا ألا ننتقد الوسط الذي نعيش فيه . ليس معناه أن نقول بأن أفتيات ملائكة أطهار ، وأن الشبان نساء صالحون ، وأن الزواج نعيم ليس بعده نعيم ، وأن

المتزوجين هم أسعد خلق الله . . . لسا نقصد إلى شيء من هذا . فإن المبالغة إلى أى ناحية اتجهت ضارة . ولكن الذى نقصد إليه هو أن نصطنع الدقة فى حكمنا على الأشياء . وأن تكون نظراتنا إلى المسائل والحوادث وإلى الظواهر الاجتماعية خاصة ، أعمق وأشمل . فانك إذا قابلت فى حياتك فتاة ماجنة مستهترّة أو حتى إذا قابلت شجرات الفتيات المساجنات المستهترات فإن هذا لا يبنى أن كل الفتيات من هذا النوع ، فيكون تسرطا منك إذا جلست بين إخوانك ومعارفك وأكدت ، فى أسف وإشفاق ، أن الدنيا (خلاص خسرت) وأن لا أمل فى إصلاح الأخلاق ، ثم تروح تروى لهم القصص التى تعرف ، تأكيذا لدعواك .

وكذلك إذا كنت قد صادفت فى حياتك ، وعرفت من أحد أصدقائك عائلة شقية بالزواج أو أكثر من عائلة ، فانك تسرف فى حكمك على الزواج بأنه شقاء وعلى المتزوجين بأنهم أشقياء . تكون مسرقا ومتجنبا لأنك تنمى أو تقتاسى مئات الألوف من العائلات السعيدة التى تعيش هنا وهناك . قد لا تعرفها أو لا تعرف بعضها ولكنها موجودة ، ما فى ذلك شك .

وكذلك تسرف الفتاة أو السيدة التى يصح لها أن تعرف شابا فاسدا الخلق حينما تعمم حكمها على الرجال بأنهم لا يقدرون مسؤولياتهم وأنهم هم سبب شقاء الزوجات . تسرف فى هذا الحكم وتخطئ خطأ شديدا . فليس كل الرجال على ضرار الرجل أو الشاب الذى صرفت . وهناك مئات الألوف من الرجال الذين يعدون مثالا عليا للزواج الفاضل لمسئولياتهم المعنيين بشؤون أولادهم وزوجاتهم ، الذين يسمعون فى بيوتهم روح المسرة والغبطة والفرح ويؤدون واجباتهم نحو أنفسهم ونحو عائلاتهم ونحو وطنهم على خير ما يؤديه الرجال الكاملون .

فول من الإنصاف أن ننمى هؤلاء وهؤلاء ، لأن الصدف قد وضعت فى طريقنا مثلا سيئا لرجل مستهتر أو لفتاة مستهترّة .

كلا لنر ما نعرف من شأن هؤلاء المستهترين ، ولكن على أنهم صنف من الناس موجود فى الحياة ، موجود فيها منذ بدأت الخليقة . ولكن لنحاذر أن نرؤى نبأ هؤلاء المستهترين والمستهترات على أنهم كل من فى الحياة وأن لا أحد غيرهم فيها . فان مثل هذا التعميم فيه خطر شديد على الفهم العام وفيه إيحاء بأن الخير لم يعد يوجد ، وأن لا أمل فى زوجة طيبة ، ولا فى زوج طيب ، ولا فى زواج سعيد .

وقد تكون ظروف الحياة التى نجتازها ، وموجة التقليد التى اجتاحت كياننا القومى ، وروح الاستهتار التى شاعت بعض الشيء بسبب القلق العام الذى يساور النفوس من جراء اضطراب الشؤون الاقتصادية والدولية العامة . قد تكون هذه العوامل ساعدت على مضاعفة عدد العابثين بالأخلاق ، والعابثات بها ، ولكن هذه الظاهرة ليس من شأنها أن

ترزع عقيدتنا في الخير العام وأن تضصف أملنا في المستمسكين بالفضائل القومية والفضائل الخلقية . بل إنها بلحديرة أن تريدنا استمساكا بالفضائل ودفاعا عنها وإشادة بها .

ومهما يكن من أمر فإن الإصلاح في التندر بالزواج والزوجات والأزواج ، والإصلاح في وصف العصر بالفساد ؟ والتأكيد بأن الزوجة الصالحة لم يعد لها وجود ، والرجل الصالح لم يعد له وجود فيه مبالغة ظالمة أولا وضارة ثانيا . أما ظلمها فواضح ، إذ أن الدنيا ، ومصر بالذات ، مملوءة بالزوجات والأزواج الصالحين ، مملوءة بالفتيات والشبان الصالحين . نشأت فيها عائلات سعيدة غاية السعادة ، وستنشأ فيها عائلات سعيدة غاية السعادة .

أما ضررها فواضح أيضا . لأن الإصلاح والتكرار والتأكيد جدير أن يخلق في نفوس السامعين والقارئین كراهة للزواج وانصرافا عنه . وليس هذا في مصلحة المجتمع المصري في شيء . بل إن مصلحته الواضحة ، في أن نخلق احساسا آخر مناقضا لهذا الاحساس ، احساسا بالتفاؤل واطمئنانا الى الحياة وثقة بأن السعادة يمكن أن توجد في الزواج . بل إن السعادة إنما توجد في الزواج وحده ، وأن الزواج الناجح ممكن ، وأن بين الفتيات المصريات كثيرات من الطاهرات الشريفات المثقفات اللاتي يمكن أن ينشئن بيوتا سعيدة ، وأن بين الشبان المصريين كثيرين ممن يفهمون مسئولية الزواج ، ويتحلون بخلق الرجال وشهامتهم .

” وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ بَيْنَهُمْ
اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ”

قرآن كريم